2022

بسم الله الرحمن الرحيم

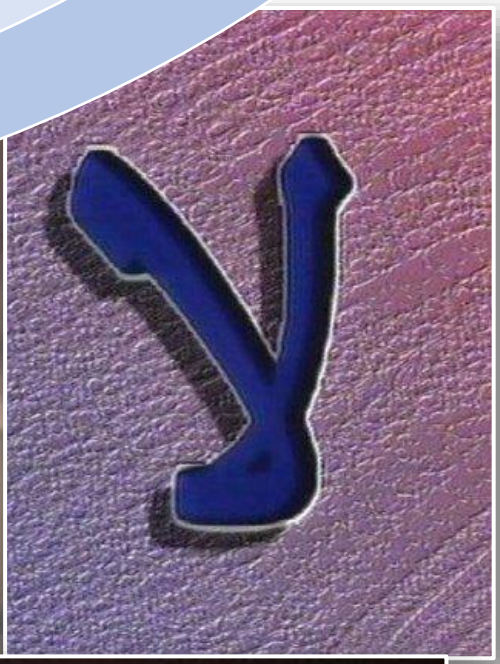

إعداد/أبو الحسن الحنّاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد .. فالإنسانُ يتميّزُ عن الأجناس الأخرى من الخلائق بمَيّزة العقل والتعبير بالنطق ، ولذا يُعرَّفُ الإنسان أحياناً بأنه حيوانٌ ناطق ، وبالكلمات والعبارات التي يطلقها اللسان ، تلك الأداة الصغيرة العجيبة التي منحها الله له ، يتفاهم ويتواصل مع الآخرين فيُعبّرُ عن احساساته ورغباته ومعاناته وتوجساته وأفراحه وأتراحه .. وعَبْرَ ذلك التواصل يمكنه إدخال السرور على من يريد بعبارةٍ جميلةٍ أو كلماتِ مدحٍ أو تشجيعٍ أو نقل أخبار سارة.

وبالمقابل يمكن للإنسان أيضا بتلك الوسيلة أن يُدخل الحُزن أوالكآبة أوالخوف أو نقل أنباءٍ سيئة أو مزعجة أو خطيرة .. وكل ذلك عبر اللسان.

ولا يفوتنا أنَّه باللسان ينالُ المرءُ رضا الله وجَنَّته وذلك بالذكر والدعاء وقول الحق والصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك .. كذلك بنفس هذا العضو الضئيل الحجم بداخل الفم ، يمكن ألا ينال من الله إلا الغضب والعقوبة بعدم التوفيق في الدنيا والخسران في الآخرة.

ومن أمراض القلوب والصدور ما يجعل من اللسانِ آلةً تُفسدُ أعمالَ المرء دون أن يدرى ، وذلك حينما يطلق العنان لأهواء نفسه دون مراقبة لما يقول أو خوف من الله المطلع على كل الأمور.. مثل الكذب والغيبة والنميمة والذم والهمز واللمز وغيرها.

فالهمزواللمز آفتان مُعضلتان لم يسلم من خطرهما إلا من رحم الله ﷻ ، وهما مرضان اجتماعيان عظيما الخطر والضررعلى الفرد والأمة ، فهما أحد أسباب الفُرقة والتّشتُّت بين صفوف المسلمين كما أنهما من العادات القبيحة التي تُنفّر المسلم من أخيه ويكونا سبباً في سوء عاقبته.

الهمز واللمز

من أجَلِّ خلالِ المسلمينَ وصفاتِ عباد الله الموحدين .. سلامةُ المسلمينَ من ألسنتِهم وأيديهم ، ومن إحدى تلك الخصال: براءتهم من الهمزواللمز.

لقوله عزوجل: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ وهم أيضاً : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾.

وعن النبي ﷺ قال: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ».

ـ والهمز واللمز داءان خطيران من الأفعال الذى يُبغضها الله سبحانه وتعالى ، فالهمّاز يقع في الناس عائباً بلسانه ، وذو اللمز يقعُ عائباً للنَّاس بفعاله .. إما بإشارة عينه أو بحركة يده ولسانه.

ـ فللهمز واللمز معنىً واحد ، وهو الطعن في الناس وفي عيوبهم.

ـ وكلٌّ منهما هؤلاء وهؤلاء مُتوعدون أبلغ الوعيد وأعظمه ، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾. وقد بدأ الله سبحانه وتعالى أول سورة الهمزة بكلمة "ويل" من أجل حفظ الأعراض ، ولم تأت سور أخرى مبتدأة بهذه اللفظة إلا سورة واحدة "سورة المطففين" وذلك من أجل حفظ الحقوق.

قال الإمام القرطبي: ويل .. " وادي يسيلُ من صديدِ أهل النار وقيْحهم".

الهمز واللمز بالقرآن الكريم

- ورد لفظي الهَمْز واللّمز في صيغٍ ومواضع متعددة من القرآن الكريم؛ ولكنهما ذُكرتا مجتمعتين وذلك في سورة الهُمزة فقط.
- وقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا في بيان مفهوم كل منهما ..

قيل : الهمزُ يكونُ خفياً ، بينما يكون اللّمز أجهر، لقوله تعالى: ﴿ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.. ولم يقل لمزات لأن كيد الشياطين يكون خفياً ، فالهمّازُ من يغتاب ويؤذي الناس بالغيب ، بالعين ، أو اليد ، أو بلوي وجهه ، أو العبس به أوغيرها من الجوارح ، بعكس اللمّاز الذي يعكس ذلك في وجوه الناس باللسان خاصّة !

توصيفات هامــة

- الهمّاز: هو الذي يَذكرُ عيوبَ النَّاسِ وصفاتِهم التي يرى أنها أقلّ من صفاته وينظر نظرة دونية للأشخاص الذين يهمزهم ، فهو يراهم إمّا أقل منه صحةً أو مالًا إلى غير ذلك من الفروقات.
- أمَّا اللّماز: فهو الذي ينتقد غيره ويعيب أفعاله من منطلق غِيرةٍ وحسدٍ ليُحبطه ويثنيه عن تقدمه في مسيرة النجاح.
- فالهُمزة هم كثيرو الهمز واللُّمزة هم كثيرو اللّمز
- قال ابن عباس: همزة لمزة .. طعّانٌ مِعْيَابٌ.

وتختلف أشكال الهمز واللمز كابتسامةٍ ساخرةٍ أو إشارةٍ بالعينين أو الحاجبين أو الفم أو اليدين ، وغيرها .. فالهمز يكون بالإساءة بالفعل واللفظ ، بينما اللمز يكون بالإشارة والإيماءات.

صور أخرى للهمز واللمز

من سياق التعريفات والتوصيفات نجد أنَّ هناك معاصٍ خطيرة وسلوكياتٍ مَعيبة وأخلاقاً رديئة داخلة في معني الهمز واللمز مثل:

- الكذبُ على النَّاس برميهم بفعل أشياءٍ زوراً في مجلس ما.
- البُهتان بإلصاق الصفات المشينة بأحد الناس (كالبخل) لم تكن فيه.
- استباحة الغيبة والنميمة.
- النّفاق ولا شك أن الهمزوالمز هما أساس خُلُق المُنافقين.
- المُزاحُ الثقيلُ الذى يُسيئ به الى أحدٍ ما ، ليضحك الآخرين.
- النَّقدُ غير البنَّاء الذى يقصد به فقط إحراج الآخرين.
- شهادةُ الزُّورِ أمام القضاء وغير القضاء
- الإستخاف بالناس وغمطهم حقوقَهم.

وغير ذلك من ارتكاب مثل هذه الذنوب بقصدٍ أو غير قصد ، بعلمٍ بعاقبة ما يقوم به أو بجهل.

الدافع على الهمز واللمز

والحاملُ له على غمط الناس وهمزهم ولمزهم إغتراره بما أصابَه من الدّنيا من مالٍ أو جاهٍ أو منصبٍ أو رِئاسةٍ ، أو إمارة ، أو حسب أو نسب مما يُحركه نحو الشر، ويبعثه إلى أبلغ الخطر ، فيكون غمازاً للناس ، مُستخفاً بهم ، غير مُبالٍ بحقوقِهم.

وإنّ من أسباب اقتراف المسلم لهذا الفعل من غيبة الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم هو:

- إحتقاره لهم وترفعه وتعاليه عليهم
- وحسده لهم ، لما عندهم وهو يفتقده
- وكراهيته لهم ، لضيق أو غلٍ بصدره
- الحقد بداخله لمن حوله

والإسلام قبَّحَ السُّخرية والاستهزاء ؛ لأنهما ينبعان من شعورالمُسْتَهْزِئ بالغرور، والكبر، والاستعلاء على النَّاس ؛ فلا يستشعرُ استحقاقَ النَّاسِ للاحترام والتَّوقير، بل إلى التَّصغيرِ والانتِقاصِ.

- فصاحب هذا الفعل ممقوتٌ عند الناس ، إضافةً إلى ما ينتظرهُ من عقوبةٍ في الآخرةِ .
- وعلاج هذا الفعل المشين يكون بذكر عِظَمِ هذا الذَّنب وذِكر عقوبتَه في الدنيا والآخرة .. فإذا تأمل عاقبة فعله فإنّه يُراجع نفسَه ويُعالجُها.

العاقبة والمآل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامنْ مُسلمٍ عابَ أخيه المُسلم فى ذنبٍ تابَ منه ، حقٌ على اللهِ أنْ يبتليه ويفضَحَهُ فى الدنيا والآخرة ».

وقال شيخ الإسلام ابن القيّم رحمَه الله : " إنَّ مَنْ سَرَّحَ لسانَه فى الخَوضِ فى أعراضِ النّاس أمسَكَ اللهُ لسانَه عند نُطقِ الشهادتين عند الموت ، ورَمْيُ مُحصَنةٍ تهدمُ عبادةَ مائةِ سنة."

وقال الإمام القرطبي : (من لقّبَ أخاه أو سخِرَ منه فهو فاسقٌ)

عن عبد الله بن مسعود: (البلاءُ موكلٌ بالقولِ ، لو سَخِرْتُ من كلبٍ لخشيتُ أنْ أُحَوّل كلباً).

وقد بين الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر حاله ، ما سيكون إليه مآله في الآخرة فقال : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾. ، فذلك الذي حمله على الاستهانة بالناس ، والاستخفاف بهم من مال أو جاه أو منصب أو رياسة ، سيكون مآله بأن ينبذه ربنا سبحانه وتعالى في الحطمة ، ولم يقل الله سبحانه وتعالى: "ليلقين في الحطمة" ؛ لأن النبذ يدل على الاستهانة به ، والاستخفاف بقدره.

الحُطمةُ دارُ تحطيمٍ

أخبر سبحانه وتعالى أنَّ نبذ الهَمَّاز اللّمَاز سيكون بالحُطمة ، وهي النّار ولكنَّهُ لم يقل: "لينبذن في نار جهنم" ، بل قال: (فِي الْحُطَمَةِ) لتكون له داراً:

- يُحطّمُ فيها مالَه وأملاكه
- ويُحطّمُ فيها جاهَه وسلطانه
- ويُحطّمُ فيها رئاستَه وزعامته
- ويُحطّمُ فيها منصبَه ومكانته
- ويُحطّمُ فيها مَحِلته التي استعلى بها على النَّاس واستكبر عليهم !

فعند ذلك ..

يَزيفُ ما كانَ فيه من بَهْرجٍ زائلٍ ،
ويَزولُ عنه ما كان يَستعلي به على خلق الله !

خصائصُ الحُطمةِ

- نارٌ لا تخبو ولا تنطفئ .. قال الله تعالى بعد أن بيّن جزاءَه بأنْ يُنبذ في الحُطمةِ التي يُحطّمُ فيها عِزُّه الأكبر على إستخفافه بالنّاس: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾. أي التي لا تنطفئُ أبداً ، فإنَّ كلّ نارٍ يخبو شرارها ، ويموتُ رمادُها إلا نارُ الجبَّارِ القهَّارِ سبحانه وتعالى التي هي دارُعذابِه ، فلا تزالُ موقدةٌ أبداً.

- نارٌ مؤصدة عليهم مُطبقة .. تلك النَّارُ هي نارٌ مؤصدةٌ عليهم أى مغلقة عليهم ، لا مفرَّ منها ولا مَهْرب.
- نارٌ تستعرُ في عَمدٍ مُمدة .. يكون عذاب أهلها: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾. أي في أعمدة طويلة عالية ؛ لأنه أشدّ ما يكون لإشتعالِ النَّار إذا أرسلت في علوٍ لا في عرض ، فيكون ذلك أشدَّ العذاب عليه.
- نارٌ تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ .. أي يصل عذابها إلى القلوب ، وإنما يُجَعلُ عذابُ النّارِ مُوصلاً إلى القلوب لأمرين اثنين:

أحدهما: أن القلب من ألطف ما يكون للبدن من اللحم ، فأشد ما يكون من أثر النار إذا وصلت إليه ، وإذا كان الإنسان يألم إذا وصل حرق النار إلى البشرة ، فإن شدة الحرق والألم تكون في وصوله إلى القلب أعظم وأعظم.

والآخر: أن مبتدأ الفطرة والإرادة التي حملته على همز النّاس ولمزهم هي قلبه ، فاستحق أن يعذب أشد العذاب.

عِقابُ الهَمْزِ واللّمْزِ

وينبغي للمسلمِ معرفة عقوبة الهمز واللّمز لتجنّبه والإقلاع عنه ، وقد توعّد الربُ جل وعلا مرتكبي بأصناف من العذاب والعقاب منها :

العقاب النفسي .. وهو النبذُ في الحطمة هو أولُ صنوفَ العقابِ التي يلقاه الهمّاز اللّماز .. فالحطمة هي النار والنبذ هو الإلقاء وحيدًا ؛ وفي هذا تعذيبٌ شديدٌ للنّفس التي اعتادت على ارتكابِ الذّنوب من لمزِ النّاس وهمزهم والاستهزاء بهم.

فغالبًا ما يكون فعل الهمز واللمز بين مجموعة من الناس ، فالهمّاز في الدنيا يكون محاط بثلّة تسانده وتؤيده ولا تنهاه عن فعله ولكنّه في الآخرة يلقى عذابه وحيدًا.

❖ العقاب الجسدي .. تحدّثت الآيات الكريمة عن صفات الهمّاز اللّماز وبأنّه يجمع المالَ ويظنُّ أنّ هذا المال سيكون له وِقاءاً ووِجاءاً من النار، ولكن هيهات من أن ينفد أحدٌ من عذاب الله وعقابه ، وهو عذابٌ شديدٌ ينزعُ اللحمَ عن الجسدِ ويُهشّمُ العظام كما أنّه عذابٌ مستمرٌ لا فِرار منه !

أضرار الهمز واللمز

إن السُّخريةَ بكلِّ أشكالِها قبيحةٌ وغايةٌ في القبح والظّلم والعدوان والشّناعة ولها آثارها ومضارها على الفرد والمجتمع ، ومن هذه المضارّ :

❖ تقطع الروابط والتوادّ والتراحم بين أفراد المجتمع والأمة الإسلامية.
❖ تولّد الرغبة في الانتقام والشعور السلبي.

- وتُورِثُ مشاعر الحقد والبغضاء في الصدور.
- الذي يسخرُ من النّاس يُعرِّض نفسَه بنفسه لغضب الله ، ويؤدي به إلى خُسران حسناته وضياع آخرته.
- السّخرية تفقد السّاخر الوَّقار وتُسقطُ عنه المروءة .
- كما أنَّ السّخرية من سِمات الكفّار والمنافقين ، وقد نُهينا عن التّشبّه بهم والتخلق بأخلاقهم
- السّاخرون من النّاس يسخرُ منهم اللهُ ﷻ وأنبياؤه الكرام في الآخرة.
- السّخرية تُنْسي الإنسان ذكر ربّه ، وتَصرِفه عن قبولِ الحقّ واستماع النّصح وتدفعه للإستمرار في غيه وأذية الناس.
- قد يُعاقبُ السّاخر في الدنيا فيحدث له مثل ما حدث للمسخور منه.

حُرمة الهمز واللمز

الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّنٌ ، ومن المعلوم من الدّين بالضرورةِ أنَّ ايذاء المسلم للآخرين من المسلمين وغير المسلمين دون وجه حق .. حرامٌ حرام. ولذا نضرب الذكر صفحاً عن التّدليل على حرمة الهمزواللمز فى الإسلام.

انوع السُخرية

وبما أنَّ السخرية هي حجر الزاوية في الهمز واللمز .. تَوَجّبَ علينا ذكر:

- ✓ الاستهزاء بالله تعالى وحاشاه ، وهي أقبح أنواع السخرية ، وأعظمها حرمةً ، فالكفر بالله تعالى هو استهزاءً به سبحانه.
- ✓ كذلك إنكارُ صفاته سبحانه وجعل شريكاً له يُعبَد من دونه ، كان هذا استهزاءً وكفراً به.
- ✓ ووصفُ اللهِ عزّوجلّ بما لا يليقُ من الصفاتِ ، مثلُ ما ذكره في كتابه العزيز قال ﷻ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾. استهزاءٌ وكفرٌ به.

- ✓ والاستهزاء بالقرآن الكريم ، والطعن في آياته ، وأحكامها ووصفها بالنّقص والعجز، وهذا كله من الاستهزاء به سبحانه.
- ✓ الاستهزاء بالأنبياء والرسل ، وهذه عادة الظالمين في كَلّ قومٍ أُرسل إليهم نبيٌّ من الله سبحانه ، أن يكْفروا به ويكذّبوه ، ويستهزؤوا به ويَصَفُوه بصفاتٍ لا تليق بمقام النبوة والرسالة ، وهو أشرف خلق الله اصطفاه عليهم ليبلغهم رسالاته.
- ✓ الاستهزاء بعموم الناس ، ومن ذلك الاستهزاء بأهل الدين والعمل الصالح، وبعضهم يَسْتَهْزِئُ بخِلْقَة الناس ، وأشكالهم ، وصورهم !

ولعمري إذا كان الناس يتخوفون من قرار تنظمي أو إدارى شديد يُكبّلُ شرورهم ، ويمنعهم مما يريدون أن يصيبهم عذاب في الدنيا ، فكيف إذا كان الهمّازون اللمَّازون متوعدُون بقول الله عزوجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

هذا وبالله التوفيق .. اسأل اله لى ولكم العافية في الدارين .. اللهم آمين.

أخوكم في الله /

أبوالحسن الحنَّـاوى

فيينا في 14 من يناير 2022